بالمجال الكردي العام، في العراق وتركيا بخاصة. ولقد كان ناجحاً في ذلك، الأمر الذي لا يعني بحال تجاوز شرط الفصام، لكون هذا بنيوياً وعميقاً، مكوّناً ثابتاً للثقافة وللشخصية الكردية المعاصرة. ولكون الشروط القائمة في سوريا لا تكف عن توليد الفصام وتغذيته.

إن كون الكرد غير معترف بهم، أو معترفاً بهم اعترافاً لفظياً لا تترتب عليه وقائع سياسية وثقافية، يبقى الحلم الكردستاني حياً وجاذباً، لكن الشروط الواقعية تدفع نحو مراعاة الواقع الصلب القائم والبحث عما يمكن فعله فيه. وفي حزب "يكيتي" يبدو أن الفصام يظهر على شكل ازدواج في الخطاب: أكثر "سورية" عند القيادات، وأكثر كردستانية عند القواعد. الأمر مفهوم. القيادات أوثق صلة بالوقائع، فيما القواعد، الشابة عموماً، أوثق صلة بالمبادئ و"الطوبى".

مبدئيا، هذه حال التنظيمات الكردية الأخرى جميعاً. غير أن تنظيمات أخرى تعالج الفصام الكردي بطريقة أخرى. ترفض، كما ذكرنا، الانخراط مع شركاء محليين، وتثبّت نظرها على الحلم الكردستاني. تعيش بالجسد هنا وبالفؤاد هناك. خيارها هذا يبدو بطولياً في الظاهر، لكنه قد يكون تسليمياً في الجوهر، ما دام عاجزاً عن ترجمة الحلم إلى استراتيجية عمل فعلية، وما دام انشداد ناظريه إلى الحلم يجعله منقطعاً عن التأثير في الواقع المعيش، وما دام أخيراً يخاصم أكراداً آخرين على خيارهم المغاير.

لكن لا وجه للاعتراض المبدئي على هذا الخيار. فهو، أكثر من غيره، يتغذى من السياسات الحكومية التي تكاد تنكر الوجود الكردي، وليس الحقوق الكردية وحدها.

الازدواج المتأصل في الوضع الكردي ينعكس في نبرة الناشط الكردي الغاضبة والعدائية أحياناً، لكن التي تصدر عن الحاجة إلى الاعتراف والاحترام، الفردي والقومي. ينعكس أيضاً في الشخصية الحساسة والقلقة للمناضل والمثقف الكردي. إن شعوره الذاتي بعدالة قضيته يدفعه إلى مخاصمة فورية لمن لا يشاركه اقتناعاته، لكنه أيضا لا يرتاح في عزلته عن الغير. فإذا شاركهم وتفاعل معهم، ظل واعياً بذاته، يسكنه شعور كثيف بوجود جدار خفي يفصله عنهم.

كعربي متضامن، لا تنقصه فصاماته الخاصة، ويدرك كم يستطيع هذا الشرط أن يكون شالاً وممزقاً، أتصور أن هناك معالجة ومزدوجة بدورها لهذا الوضع المزدوج. من ناحية القبول بالازدواج على نحو ما نقبل عاهة ونواصل الحياة. هذا يعني أوسع انخراط في الحياة العامة في البلد، وأقوى تمسك بالحلم الكردستاني في آن واحد. يساعد في ذلك أن التعارض بين الأمرين ليس إلغائياً. أشرت فوق الى أن للحلم الكردستاني وظيفة تتمثل في بلورة الشخصية الكردية. الواقع أنه حلم مُعرِّف للكردي المعاصر بما هو كذلك. وتالياً تأسيسي ومحرر. إن كان ذلك صحيحاً، على ما أقدّر، كان هو ذاته من لوازم النضال المواطني. فرص فوز هذا النضال أكبر حين يستند إلى شخصية صلبة منه حين يكون بلا سند معنوي كهذا.

الحلم التأسيسي لا يحل مشكلات عملية، ما دام واقع الحرمان السيادي (من الدولة) والسياسي (من المواطنة والحريات) قائماً. لكنه مصدر للطاقة في مواجهتها. إن طلب المساواة الفردية والجمعية والقومية يُبقي الحق الكردي في الحلم حياً حتى لو تحققت أهداف النضال المواطني، وحتى لو نالوا كجماعة حقوقاً مساوية لغيرهم في سوريا وغيرها. فإما دولة مثل الجميع، وإما دولة للجميع. وإما لا دولة في عالم بلا دول.

الوجه الأخر للمعالجة المزدوجة هو الثقافة. يحول القصور الثقافي للبيئة الكردية، بدرجة تحاكي الوسط العربي وتفوقه، يحول بين المناضل والمثقف الكردي (وهما الشخص نفسه غالبا) وبين تحويل قلقه وفصامه إلى فكر وفن وثقافة أرفع، ما كان من شأنه أن يمنح معنى تاريخياً وإنسانياً لمعاناة الأجيال الحاضرة. لعل مأسوية وضع المثقف الكردي مضاعفة قياساً إلى نظيره العربي. فهو من ناحية يعاني من الاستلاب القومي بسبب الحرمان من دولة، وهو من ناحية أخرى يكتب بلغة غير لغته. هذا ليس لأنه لا يتقن لغته أو لا يكتب بها، بل لأنه يريد أن يَعرف أكثر، وأن يُعرف ويُعترَف به أكثر، وأن يكسر جدار الإنكار المنصوب حول قومه وثقافته. قد ينجز أشياء مهمة، لكن بثمن الفصام المستمر.

مع ذلك فإن الثقافة هي المخرج الأرفع قيمة من هذا الوضع الشاق. ليست الإكسير الشافي للمرض الكردي، لكنها جهد موصول للسيطرة عليه، ومحاولة مستمرة للشفاء المحال منه. وبينما ليس من المتصور أن يكفّ الكردي يوماً عن النضال السياسي، فإن الثقافة يمكنها أن تكون سياسة أساسية أو تأسيسية في أوضاع عضالة كهذه التي يعيشها قومه. ولا ريب أن من شأنها أن تساعد الكرد في تحمل وضعهم، وإخراج شرطهم الممزق من المباشرة والمادية إلى الثقافة والمعنى. وبهذا تنفذ مساحة خاصة للروح، مستقلة وسيدة، مع كونها في الآن نفسه إنسانية وعامة.

* ملحق النهار الثقافي – الأحد ٢٨ تشرين الثاني ٢٠١٠

إلى النفس المطمئنة
(عمو أبو شيار)

✓ **أفين**

لقد كان يوم الأثنين ١٨-١٠-٢٠١٠ نعم ذلك اليوم الذي تلقيت فيه النبأ المفجع الا وهو نبأ وفاة العم ابوشيار . ذلك اليوم الذي عمّ الحزن والسواد سماء القامشلي والوطن بأسره.. حيث انصدم الكل ، الصغيرقبل الكبير ،والشاب قبل العجوز،والرجل قبل المرأة بهذا الخبر الفظيع ، أيعقل أنه رحل من بيننا !!؟ أيعقل أننا لن نجده بيننا من اليوم فصاعدا!!؟؟ ألن يشاركنا افراحنا وأحزاننا !!؟؟ بهذه الأسئلة توجهت إلى أبي المفجوع بالنبأ ،فلم يجبني ولكن عيناه الممتلئتين بالدموع أخبرتاني بالحقيقة المرة ... لا لا لا عمو أبوشيارلا يمكن أن يموت، هوذهب جسدا ولكن روحه ما زالت حية بيننا تشاركنا جميع الأوقات أنه ما زال في فكرنا وعقلنا ،إن كان الموت قد استطاع ان يأخذه من امام اعيننا ولكن لا يستطيع ابدا ان يمحي ما تركه لنا من قيم واخلاق وصفات حسنة ولن يستطيع ان يسرقه من قلبنا وفكرنا هو دائما معنا بحنانه وهدوءه ، عمي لم يكن كغيره من الأعمام لقد كان من عمري و عمر أبي نعم كان مع الصغير صغيرا ومع الكبير كبيرا يفهم ويستوعب الكل بكل رحابة صدر .. ايها العم الطيب نم قرير العين مطمئن القلب ناعم البال مرتاح الخاطرفي مسقط رأسك، ولا تخف علينا نعدك نحن الصغار و نحن الآن أمام ضريحك الطاهر في ذكرى أربعينيتك، ان نسلك دربك ونكمل المشوار الذي بدأته ونصل الى حيث ما ينبغي ان نكون، انت ستكون الشعلة المتقدة التي تنير لنا هذا الدرب واطمئن فان وراءك رجال كالجبال قوة وصلابة سيحققوا كل الامال التي كنت ستحققها في حياتك ولكن بما اننا نؤمن بالقدر وهذا ما شاءه القدر.... نسأل الله أن يسكنك فسيح جناته .

وانا لله وان واليه راجعون ..

تعتذر هيئة التحرير من الأخوة الكتاب لعدم إمكانية نشر كافة المقالات .